أبيدوس (Abydos)

جامعة سوهاج | العدد الثالث (٢٠٢١م)، ص ص: ٣٨٩ـ ٤١٨ | كلية الآثار

المدينة القصبة وتطورها العمراني بالمغرب الأقصى: مدينة شفشاون أنموذجًا

Casbah City and its Urban Development in Morocco: Chefchaouen as an Example

أ. د. محمد السيد محمد أبورحاب

أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية كلية الآداب – جامعة أسيوط

Prof. Mohamed E. M. Abo Rehab

Email: abourehab@ymail.com; abourehab2020@gmail.com

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على نوعية مهمة من نوعيات المدن، التي انتشرت في العالم الإسلامي شرقًا وغربًا، وهي المدينة القصبة، التي كانت في بدايتها مراكز دفاعية أو قصبة تحصينية للدفاع، وبمرور الزمن غلب عليها الطابع المدني وتحولت إلى مدينة كاملة المرافق، وفي إطار ذلك عرض البحث للتطور العمراني لمدينة شفشاون بالشمال الغربي للمغرب الأقصى، التي كانت في البداية بمثابة رباطً أو قصبة شيدت في قلب سفوح جبال الريف سنة(٨٧٦هـ/١٤٧١م) يتجمع فيها المجاهدون لصد هجمات البرتغال على السواحل المغربية، ووقف توغله في المناطق الداخلية للبلاد.

ثم كثر الواردون على شفشاون، وهاجر إليها جماعات من الأندلسيين، وأصبحت في جملة المدن المغربية في وقت قصير، إذ صارت القصبة نواة التفت حولها كل مكونات المدينة بعد ذلك، ولاسيما أن الموضع الذي شيدت فيه ساعد على نجاح إنشاء المدينة وازدهارها في مستقبل حياتها، لتوفر الشروط الأساسية لنشأة المدن واختيار مواقعها وتخطيط مواضعها، كالتحصين الطبيعي ووفرة المياه ووجود ظهير زراعي مناسب.

الكلمات المفتاحية: المدينة القصبة، مدينة شفشاون، القصبة، حومة السويقة.

Abstract

This study aims to shed light on a very important type of cities that which has spread in the Islamic world (the eastern and western), that is Casbah. The Casbah was originally a defensive center; as time passed, it turned into a civilian city with complete facilities. Within this framework, the study surveys the urban development of Chefchaouen in the

Mountains of northwest Morocco, which was founded as a small Casbah (fortress) in the center of the Rif mountains in1471 to fight the Portuguese invasions of northern Morocco.

Then many people, including Andalusians, immigrated to Chefchaouen, and, shortly it became among one of the Moroccan cities. The Casbah became the center around which all the components of the city were revolved after that, especially since the place in which it was built helped the success of the establishment of the city and its prosperity in the future of its life, because it provided the basic conditions for the emergence of cities and the selection and planning of their sites, such as natural fortification, abundance of water, and the presence of an appropriate agricultural land.

Key-words: Casbah City, Chefchaouen, Casbah, Houmt-Souk.

تختلف المدن وتتنوع باختلاف وظائفها وظروف إنشائها ومواقعها ومواضعها، والمؤثرات التي تؤثر على نموها وتطورها، كما اختلفت الأهداف التي أنشئت من أجلها المدن، فمنها ما أنشئ لأغراض إدارية أوسياسية أودينية أوتجارية أوصناعية، ومنها ما نشأ ونما مرتبطًا بعوامل دفاعية، إذ بدأت كمناطق ارتكاز تحصينية للدفاع، وبمرورالزمن تطورت وغلب عليها الطابع المدني وتحولت إلى مدن مأهولة بالسكان حتى اليوم، كالرباط بالمغرب الأقصى والمونستير بالمغرب الأدنى ومجريط بالأندلس وغيرها[١].

وإلى هذه النوعية الأخيرة تنتمى مدينة شفشاون بالشمال الغربي للمغرب الأقصى، التي كانت في البداية بمثابة رباطً يتجمع فيه المجاهدين لصد هجمات البرتغال على السواحل المغربية بعد احتلال مدينة سبتة سنة(٨١٨هـ/١٤١٥م) وما أعقب ذلك من تهديد للمناطق المجاورة ومحاولة بسط نفوذهم على شمال المغرب الأقصى[٢]، للتمركز بسواحله، ثم التسرب منها إلى داخل البلاد لاحتلالها وتنصير أهلها[٣].

فقد تزامن مع انهيار دولة بني الأحمر بغرناطة، وتدهور وضعف الأوضاع بالمغرب الأقصى منذ أواخر العصر المريني وطوال الحكم الوطاسي، تعرض السواحل المغربية منذ مطلع القرن(٩هـ/ ١٥م) إلى الغزو الأيبيري المتمثل في الحملات البرتغالية والإسبانية المتوالية لاحتلال المغرب وتطويق سواحله، حيث تضافرت عدة عوامل ساعدت على تنشيط هذه الأطماع.

---

[١]- **محمد عبد الستار عثمان:** المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٩٥.

[٢]- **ليون الإفريقي (الحسن بن محمد الوزان، تُوُفِّيَ بعد عام ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م):** وصف إفريقيا، الطبعة الثانية، ترجمة د. محمد حجي ود. محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٩٨٣م، جـ١، ص٣١٨، ٣٢٢، ٣٣١.

[٣]- **عبد القادر العافية:** الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها خلال القرن العاشر الهجري(السادس عشر الميلادي)، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٨٢م، ص٣٥.

وقد كان الاحتلال البرتغالي أسبق زمنًا من نظيره الإسباني للشواطئ المغربية، ومر هذا الاحتلال البرتغالي بمرحلتين، الأولى كانت في القرن (٩هـ/ ١٥م)، وتركزت على الثغور الشمالية للمغرب، بينما تمت المرحلة الثانية في مطلع القرن (١٠هـ/ ١٦م)، وتركزت على الثغور الجنوبية[١].

أما المرحلة الأولى فقد بدأت باحتلالهم لمدينة سبتة سنة(٨١٨هـ/١٤١٥م)، والقصر الصغير سنة(٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م)، وأنفا سنة(٨٧٤هـ/ ١٤٦٨م)، وأصيلا، وطنجة سنة (٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)، ثم أوقفوا غزو الشواطئ المغربية إلى بداية القرن(١٠هـ/ ١٦م)، وقد تمكنوا خلال هذه الفترة من اكتشاف رأس الرجاء الصالح سنة(٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م)، وهو الذي فتح لهم الطريق إلى الهند، وبعد ذلك شرع البرتغال في إنجاز المرحلة الثانية من احتلال الثغور المغربية، والتي ركزت على الثغور الجنوبية من سنة(٩٠٨هـ/١٥٠٢م) إلى (٩١٩هـ/١٥١٣م)[٢]، وبدأت باحتلالهم لمدينة مازكان "الجديدة" سنة(٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م)، ثم أكادير سنة(٩١١هـ/١٥٠٥م) وأكوز "الصويرة" سنة(٩١٢هـ/١٥٠٦م)، وآسفي سنة(٩١٣هـ/١٥٠٧م)، ثم سبيت وتيط سنة(٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)، وتمكنوا أخيرًا من احتلال مدينة أزمور سنة(٩١٩هـ/ ١٥١٣م)، ثم المعمورة "المهدية" سنة(٩٢١هـ/١٥١٥م)[٣].

أما الإسبان فلم يحتلوا في القرن (٩هـ/ ١٥م) سوى منطقة ساحلية بأقصى الجنوب المغربي مقابلة لجزر الخالدات (جزر كناريا) بالمحيط الأطلسي[٤]، حيث انحصر اهتمامهم في تلك الفترة بتوحيد أراضيهم، وانتزاع ما تبقى بيد المسلمين بها، خاصةً أن إسبانيا أصبحت خاضعةً لسلطة واحدة بعد زواج إيزابيلا ملكة قشتالة بفرديناند ملك أراغونة، وقد استطاعوا سنة (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م) فتح غرناطة آخر معقل للمسلمين بالأندلس، واكتشاف العالم الجديد (القارة الأمريكية) الذي ساد الظن في أول الأمر بأنها الشواطئ الشرقية لبلاد الهند، فكان ذلك تفوقًا كبيرًا أحرزه الإسبانيون على منافسيهم البرتغاليين، الذين اهتموا بالمغرب اهتمامًا بالغًا[٥].

ونظرًا للنزاع الشديد والحروب التي دارت بين البرتغال وإسبانيا حول أحقية كل منهما في الاستيلاء على السواحل المغربية، عقدت معاهدة "Tordesillas" سنة (٨٩٩هـ/ ١٤٩٤م) تلتها معاهدة

---

[١]- **إبراهيم حركات:** السياسة والمجتمع في العصر السعدي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٨٧م، ص ص١٤٨- ١٥٥.

[٢]- **إبراهيم حركات:** السياسة والمجتمع في العصر السعدي، ص ص١٤٨- ١٥٥.

[٣]- **مارمول (كربخال، ألف كتابه بعد عام ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م):** إفريقيا، ترجمة، محمد حجي وآخرون، الرباط: مطابع المعارف الجديدة، ١٩٨٨- ١٩٨٩م، ط٢، جـ٢، ص ٢٠٧؛ **عبد الكريم كريم:** المغرب في عهد الدولة السعدية – دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، الدار البيضاء: شركة الطبع والنشر، ١٩٧٨م، ط٢، ص ص ١٠ – ١٢، ٤١؛ **إبراهيم حركات:** السياسة والمجتمع في العصر السعدي، ص ص ١٥٤ – ١٥٥.

[٤]- **محمد حجي:** الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، المغرب: منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة فضالة، ١٩٧٨م، جـ١، ح٤، ص ٤٠.

[٥]- **عبد الكريم كريم:** المغرب في عهد الدولة السعدية، ص ١٠؛ **إبراهيم حركات:** السياسة والمجتمع في العصر السعدي، ص ٢٩.

"Sintra" سنة (٩١٤هـ/ ١٥٠٩م) بين هاتين الدولتين، لوضع حد للنزاع والخلاف بينهما، وتحديد مناطق المستعمرات الإفريقية لكل منهما، وبموجب ذلك أصبحت سواحل المغرب الجنوبية الممتدة بين رأس كانتان ونام من مناطق النفوذ البرتغالي، مقابل اعتراف البرتغال بمشروعية التوسع الإسباني في الجزء الشرقي من ساحل المغرب الشمالي الواقع بين بادس حتى غساسة، ومليلية، واستطاعوا في سنة(٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م) احتلال مدينة مليلية، ثم مدينة بادس سنة(٩١٢هـ/ ١٥٠٧م)، بوصفهما بداية المنطقة الشرقية التي قضى لهم بها في المعاهدة السالفة الذكر[١].

وقد أحدث هذا الاحتلال الأيبيري للسواحل المغربية رد فعل قوي داخل البلاد، فظهرت حركات في شمال المغرب وجنوبه تزعمها العلماء ومتصوفة الزوايا، تدعو إلى الجهاد وحمل السلاح لتحرير الأراضي المغتصبة، ولا سيما أن السلطات القائمة بالبلاد آنذاك– المتمثلة في الوطاسيين - لم يوفقوا في ذلك لعدة عوامل أهمها، عدم إدخال تطوير يذكر على خططهم العسكرية أو أسلحتهم التي ظلت دون أسلحة أعدائهم الأجانب كمًا وكيفًا، فضلاً عن افتقارهم إلى جيش كبير منظم[٢].

نتيجة لذلك برزت وحدات سياسية جديدة آنذاك، خاصةً تلك التي قامت في شمال المغرب كبني راشد بشفشاون وبني المنظري في تطوان، حاولت تغيير الوضع القائم عن طريق الجهاد والدفاع عن البلاد ضد الخطرالأيبيري[٣]، وقد مثل سقوط القصر الصغير في أيدي البرتغال سنة(٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م) بداية مرحلة الجهاد ضد البرتغال، فبسقوط هذا الميناء تحطم آخر جسر كان يربط بين مملكة غرناطة والمغرب، كما سهل للبرتغال الاستيلاء على أصيلا وطنجة سنة(٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)، وظهر عجز السلطة الحاكمة في مواجهة الخطر البرتغالي بوجه خاص عندما عقد محمد الشيخ الوطاسي هدنة مع البرتغال لمدة عشرين عامًا[٤].

وكرد فعل لتخاذل الوطاسيين عن التصدي لأطماع البرتغال في شمال المغرب، ذلك القطاع الحيوي بين العدوة الأندلسية والعدوة المغربية[٥]؛ نظمت حركة جهادية بشمال المغرب تزعمها العلماء والفقهاء بقيادة أحد شرفاء جبل العلم ينتسب إلى إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب، وهو

---

[١]- **محمد حجي:** الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، جـ١، ح٤، ص ٤٠؛ **الحسن اليوبي:** الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، مطبعة فضالة، ١٩٩٨م، ص ٣٨.

[٢]- **عبد الكريم كريم:** المغرب في عهد الدولة السعدية، ص ٣٣؛ **إبراهيم حركات:** المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، المملكة المغربية، ١٩٨٧م، جـ٢، ص ١٧٧.

[٣]- للاستزادة حول هذا الموضوع، انظر، **عبد الكريم كريم:** المغرب في عهد الدولة السعدية، ص ص ٣٣ – ٣٤.

[٤]- **الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي ت: ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م):** الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق، جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٥٤م، جـ٤، ص ١٢٠؛ **عبد القادر العافية:** الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون، ص ٤١.

[٥]- **عبد العزيز بن عبد الله:** شفشاون وآثارها المعمارية عبر التاريخ، مجلة المناهل، عدد ٢٨ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ديسمبر ١٩٨٣م، ص٣٢.

الحسن بن محمد العلمي المعروف بابن جمعة، الذي اتخذ من جبل حبيب(إقليم تطوان حاليًا) رباطًا للجهاد؛ لقربه من الثغور المحتلة، ومثلت حملاته المتكررة تهديدًا واضحًا وخطرًا على وجود البرتغال في سبتة والقصر الصغير[١].

غير أن هذا القرب الجغرافي لم يكن في صالح هذه الإمارة الناشئة، إذ تمكن البرتغاليون من استمالة بعض سكان قرية الخروب إحدى قري جبل حبيب، ودبروا اغتيال ابن جمعة وهو يصلي في مسجد هذه القرية سنة(٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)، فخلفه ابن عمه علي بن راشد في إمارة المجاهدين في الشمال الغربي للمغرب[٢].

وقد تنبه ابن جمعة قبل وفاته إلى خطورة قرب الموقع الذي اختاره بجبل حبيب من مجال نفوذ البرتغال بسبتة، فشرع في تأسيس رباط للجهاد ضد البرتغاليين، في مكان حصين يصعب الوصول إليه للاستقرار به في مأمن من غاراتهم، ويكون قاعدة يتجمع فيها المجاهدون ومستقرًا لأسرهم، ونقطة انطلاق لحملاتهم ضد هذا العدو، وروعي في موقع هذا الرباط شرطان مهمان: أولهما، البعد عن المناطق المهددة بخطر الهجوم المتكررللبرتغاليين، والشرط الآخر، المنعة والتحصين الطبيعي الذي يحقق إعاقة العدو في السيطرة عليه[٣].

فوقع اختياره سنة(٨٧٦هـ/١٤٧١م) على موضع شفشاون بالجهة المعروفة بالعدوة، بالضفة اليسري لنهر شفشاون (وادي رأس الماء)[٤]، فموقع شفشاون في سفوح الجبال الشاهقة بارتفاع نحو ٦٤٠م من مستوى سطح البحر[٥]، ووقوعها داخل البلاد بعيدة عن ساحل البحر المتوسط، وبعدها عن مدينة سبتة بنحو ١٠٠كم، فضلاً عن غناها بالمياه[٦]، لوجود نبع الماء المعروف بـ(وادي رأس الماء) أعلى المدينة[٧]؛ يوفر الشروط المطلوبة كمكان لتجمع واستقرار المجاهدين، لتنظيم عمليات الجهاد

١- **عبد القادر العافية:** الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون، ص ٤١؛ **محمد بن عزوز حكيم:** مولاي علي بن راشد مؤسس شفشاون، الجزء الأول من كتاب "تاريخ شفشاون"، مطابع الشويخ، تطوان ١٩٩٨م، ص ص٣٤-٣٥.

٢- **الناصري:** الاستقصا، جـ٤، ص١٢١؛ **فاطمة بوشمال:** إمارة شفشاون: طموح سياسي أجهضه جوار صعب، بحث نشر في كتاب أشغال الأيام الوطنية الثانية والعشرين، الجمعية المغربية للبحث التاريخي وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، المملكة المغربية، إبريل ٢٠١٥م، ص٢٤٩ - ٢٥١.

٣- **عبد القادر العافية:** الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون، ص٦٣؛ **محمد بن عزوز حكيم:** مولاي علي بن راشد مؤسس شفشاون، ص٤٩.

٤- **القادري (محمد بن الطيب ت:١١٨٧هـ/١٧٧٣م):** نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط- المملكة المغربية، ١٩٧٧م، جـ٣، ص١٠٥٩؛ **الناصري:** الاستقصا، جـ٤، ص١٢١؛ **محمد بن عزوز حكيم:** مولاي علي بن راشد مؤسس شفشاون، ص٥٠.

٥- **عبد المولي الهراس:** مظاهر التنمية بمدينة شفشاون، بحث لنيل الإجازة في شعبة الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان-المملكة المغربية، ٢٠١٢م، ص١٦.

6- **Naciri,** Mohamed et des autres, La Medina De Chefchaouen, Etude Architecturaie, Service De Reprographie Et Imprimerie, Rabat, Maroc,1982, p. 30.

٧- **محمد القاضي:** مظاهر الحضارة الأندلسية في شفشاون، بحث نشر في مجلة التاريخ العربي، العدد الثامن والخمسون، طنجة-المملكة المغربية، ٢٠١١م، ص١١٣.

ومقاومة العدو البرتغالي[١]، باعتبار أن ارتفاع الموضع يحقق سهولة الدفاع عن المدينة وإمكانية مراقبة الطرق الموصلة إليها، ويجعل منها ملجأً طبيعيًا آمنًا للاستقرار والسكن.

كما تميز الموضع الذي اختاره ابن جمعة لبناء شفشاون بقربه من مدشر غاروزيم مقر الشرفاء العلميين عشيرة ابن جمعة ومؤيديه[٢]، ولا يحتاج الوافد إليه من هذه القرية عبور النهر، إنما يصل إلي هذا الموضع مباشرة، لكن استشهاد ابن جمعة في شهر محرم(٨٧٦هـ/ يوليو ١٤٧١م) حال دون تمكنه من تحقيق مشروعه[٣].

وبعد أن تولي على بن راشد إمارة المجاهدين خلفًا لابن عمه الحسن بن جمعة، شرع في إتمام فكرة ابن عمه، لكنه نقل مشروع بناء المدينة إلى الضفة اليمني لوادي شفشاون أي من شرق نهر شفشاون إلى غربه؛ لأن الموضع الأول الذي اختاره ابن جمعة بالضفة اليسري للنهر لم يكن ملائمًا، بسبب السيول التي تؤدي إلى انجراف تربته وانهيارها، وهي ظاهرة مازالت قائمة بهذا الموضع حتى الآن[٤].

وعلى الرغم من أن نهر شفشاون أصبح يفصل بين مدشر غاروزيم مقر الشرفاء العلميين مؤسسي المدينة وبين مدينة شفشاون، فإن هذا الموضع الذي اختاره على بن راشد ساعد على نجاح إنشاء مدينته وازدهارها في مستقبل حياتها، لأنه أكثر صلابة وحصانة ووفرة للمياه[٥].

لم يكن الغرض من تأسيس مدينة شفشاون بناء مستقر سكني أو مدينة عادية، إنما كان الهدف الرئيس من تشييدها وفقًا لما ذكره المؤرخون، هو :" تحصين المسلمين من الكفرة- يقصد البرتغال-، إذ كانوا لما أخذوا سبتة دمرهم الله يتطاولون على أهل تلك المداشر في ملك بني وطاس"[٦].

يدل على ذلك أن أول ما بناه على بن راشد بالمدينة كانت القصبة، و:" أوطنها بأهله وعشيرته"[٧]، وذلك في شهر جمادى الأولى سنة(٨٧٦هـ/ أكتوبر ١٤٧١م)، ثم: "نزل الناس بها فبنوا وصارت في عداد المدن"[٨]، إذ صارت القصبة نواة التفت حولها كل مكونات المدينة بعد ذلك[٩].

واتخذ على بن راشد القصبة ثكنة عسكرية ومقرًا لقيادته، وهى تشبه في تخطيطها وتكويناتها المعمارية مثيلاتها بالمغرب والأندلس، إذ اشتملت فضلاً عن دار الإمارة على مسجد وثكنات للجند

---

[١]- **عبد المولي الهراس:** مظاهر التنمية بمدينة شفشاون، ص١١.
[٢]- **عبد القادر العافية:** الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون، ص٧٠.
[٣]- **الناصري:** الاستقصا، جـ٤، ص١٢١؛ **محمد بن عزوز حكيم:** مولاي على بن راشد مؤسس شفشاون، ص٣٦.
[٤]- **عبد القادر العافية:** الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون، ص٦٩؛ **عبد المولي الهراس:** مظاهر التنمية بمدينة شفشاون، ص١١.
[٥]- **عبد القادر العافية:** الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون، ص ص٦٩-٧٠؛ **عبد المولي الهراس:** مظاهر التنمية بمدينة شفشاون، ص١١؛ **فاطمة بوشمال:** إمارة شفشاون، ص٢٥١.
[٦]- **القادري:** نشر المثاني، جـ٣، ص١٠٥٩؛ **الناصري:** الاستقصا، جـ٤، ص١٢٠..
[٧]- **الناصري:** الاستقصا، جـ٤، ص١٢١.
[٨]- **الناصري:** الاستقصا، جـ٤، ص١٢١.
[٩]- **عبد المولي الهراس:** مظاهر التنمية بمدينة شفشاون، ص١١.

وسجن واسطبلات للخيل ومخازن وحديقة[١]، (شكل١، لوحة١)، وقد اعتمد على بن راشد في تشييد القصبة على اليد الخبيرة في أعمال البناء من المجاهدين المغاربة والبرتغاليين الذين كان يأسرهم خلال غزواته المتكررة على المدن المغربية المحتلة من قبل البرتغال[٢].

تقع هذه القصبة بالقطاع الغربي لمدينة شفشاون القديمة، تتقدمها ساحة وطاء الحمّام[٣]، المنبسط الوحيد في مدينة شفشاون القديمة (شكل٢، لوحة٢)، وتشغل القصبة مساحة مستطيلة غير منتظمة الاضلاع تبلغ مساحتها نحو ٢٩٢٦٠م٢(شكل١)، محاطة بسورسمكه ٢م ويبلغ محيطه ٧٠٥م، استخدمت الأحجار والحصى في بناء أساساته، بينما شيد السور من كتل مصمتة من الطابية يتناوب معها مداميك من الآجر، ودعم هذا السوربعشرة أبراج مربعة المسقط، شيدت قاعدة بعض هذه الأبراج بالحجر، أهمها البرج الكبير المعروف بالبرج البرتغالي، نسبة للأسرى البرتغال الذين شاركوا في بناء القصبة[٤]، ويعلو السور ممشى يحده من الخارج جدار من الطابية توج بصف من دراو مستطيلة ذات نهايات مدرجة(لوحة٣).

وكانت القصبة تشتمل على مدخلين، أحدهما بالجهة الشرقية يفتح على السوق وهو مغلق منذ فترة طويلة، أما المدخل الآخر فيوجد بالجهة الغربية في مقابل الجامع الكبير الذي شيده الأمير محمد بن على بن راشد خلال فترة حكمه(٩٤٧-٩٦٩هـ/١٥٤٠-١٥٦٢م)[٥]، وهذا المدخل مغلق أيضًا ويستخدم حاليًا متحفًا، وأما المدخل الحالي للقصبة فقد فتح في ثلاثينيات القرن الماضي بقاعدة البرج الذي يتوسط الضلع الشمالي الغربي للقصبة[٦](لوحة٤)، وكان ذلك على يد الجيش الإسباني لدخول وحداته إلى القصبة، واتخاذها ثكنة عسكرية[٧].

---

[١]- **محمد بن عزوز حكيم:** مولاي على بن راشد مؤسس شفشاون، ص٥٠؛ **عبد المولي الهراس:** مظاهر التنمية بمدينة شفشاون، ص١١.

[٢]- **محمد القاضي:** مظاهر الحضارة الأندلسية في شفشاون، ص١٠٧.

[٣]- سميت الساحة بهذا الاسم نسبة لوجود (حمّام البلاد) أقدم حمام بمدينة شفشاون بالقرب من هذه الساحة؛ **محمد القاضي:** مظاهر الحضارة الأندلسية في شفشاون، ص١٢١.

[4]- **Bautista,** Guillermo,Xauen:Evolucion Urbana De La Ciudad, Janta de Andalucia, 2000-2001, pp. 171-172.

[٥]- **سعيد أعراب:** جامع شفشاون، بحث نشر في مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط-المملكة المغربية، العدد الأول، السنة السادسة، أكتوبر ١٩٦٢م، ص ٢٨؛ **نوران محسن طه:** العمائر الدينية بمدينة شفشاون بالمغرب الأقصى منذ نشأتها في القرن(٩هـ/١٥م) حتى نهاية القرن(١٣هـ/١٩م): دراسة آثارية معمارية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠٢١م، ص٤٨.

[6]- **Naẓma El-Khatib Boujibar et des autres,** Le Maroc Andalou: À La Découverte D'Un Art De Vivre, Maroc, 2000, p. 148.

[٧]- **فاطمة بوشمال:** شفشاون حاضرة شريفة بملامح أندلسية وقسمات جبلية، بحث نشر في مجلة المناهل، وزارة الثقافة والشباب والرياضة-قطاع الثقافة، المملكة المغربية، العدد ٩٨، يناير – فبراير- مارس٢٠٢٠م، ص ص ١٢٩-١٣٤.

وقد شيد على بن راشد برجًا للمراقبة على قمة جبل سيدي بوحاجة، خارج مدينة شفشاون، بالقرب من الولي الصالح سيدي عبد الحميد، يعرف حاليًا ببرج سيدي عبد الحميد[١]، وجعله موازيًا للقصبة؛ ليكون بمثابة نقطة مراقبة ودفاع عن هذه القصبة والطرق الموصلة إليها[٢].

ومن خلال هذه القصبة المنيعة وجه بنو راشد ضرباتهم القوية، وهجماتهم المتوالية على العدو البرتغالي؛ لوقف توغله في المناطق الشمالية الغربية للمغرب[٣]، وكان لجهادهم دور في تحرير بلاد الهبط وعاصمتها القصر الكبيرمنذ سنة(٩٥٦هـ/١٥٤٩م)، وكذلك مدينة أصيلا في العام التالي[٤].

كما شكلت القصبة مقرًا لإدارة على بن راشد وأبنائه من بعده، وكذلك لكل ولاة منطقة غمارة خلال العصرين السعدي والعلوي حتى قبيل الإحتلال الإسباني لمدينة شفشاون سنة ١٩٢٠م[٥].

ونظرًا لتشييد هذه القصبة بعيدًا عن مناطق الاحتلال البرتغالي، في موقع استراتيجي يمكن الاستقرار فيه والاطمئنان إليه، داخل ثنايا جبال الريف التي تخفيها وتحميها من هجمات البرتغال، إذ تحيط بها جبال عالية من جميع الجهات: جبل ماكو، جبل بوحاجة، جبل تسملال وجبل القلعة، ويشرف على نهر شفشاون النابع من جبل تسملال[٦]، والذي يجري من أعلى المدينة إلى أسفلها، فضلاً عن توفر هذا الموقع على ظهير زراعي مناسب[٧].

كل ذلك ساعد على الاستقرار والبناء والتشييد وامتداد العمران حول هذه القصبة، لتصبح مدينة كاملة المرافق، ومركز قيادة ، ودار إمارة، ومكان تجمع للمجاهدين ومقر سكنهم[٨]، ومركزًا حضريًا مهمًا بين شرق وغرب مدن شمال المغرب[٩]، لا سيما أن هذا الموقع يتوفر على الشروط الأساسية لنشأة المدن واختيار مواقعها وتخطيط مواضعها، التي حددها المفكرون المسلمون في مصادر التراث

١- **محمد بن عزوز حكيم:** مولاي على بن راشد مؤسس شفشاون، ص٥١؛ **عبد المولي الهراس:** مظاهر التنمية بمدينة شفشاون، ص١١.
٢- **عبد المولي الهراس:** مظاهر التنمية بمدينة شفشاون، ص١١.
٣- **سعيد أعراب:** جامع شفشاون، ص٢٨.
٤- **عبد العزيز بن عبد الله:** شفشاون وآثارها المعمارية عبر التاريخ، ص٣٢.
٥- **فاطمة بوشمال:** إمارة شفشاون، ص٢٥٢.
٦- **عبد المولي الهراس:** مظاهر التنمية بمدينة شفشاون، ص١٦.
٧- **مارمول:** إفريقيا، ط٢، ج٢، ص٢٤٩؛ **ف. شارل دو فوكو:** التعرف على المغرب ١٨٨٣-١٨٨٤، الجزء الأول: الرحلة، ترجمة المختار بلعربي، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الثقافة- الدار البيضاء، ١٩٩٩م، ص٢٠.
٨- **عبد القادر العافية:** الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون، ص. ٤٢
٩- **محمد الشريف:** مدينة شفشاون وبنياتها الاقتصادية والاجتماعية سنة ١٩١٨ من خلال تقرير عسكري إسباني، بحث نشر في كتاب المغرب والأندلس- دراسات وترجمات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-تطوان –المغرب، ٢٠١٠م، ص٩٢.

الإسلامي[١]، ومن ثم كثر الواردون على شفشاون، وهاجر إليها جماعات من الأندلسيين، وأصبحت في جملة المدن المغربية في وقت قصير[٢].

ويمكن القول إن التوسع والتطور العمراني الذي طرأ على مدينة شفشاون، كان نتاج الهجرات الأندلسية هربًا من الاضطهاد والتعذيب الذي تعرض له الأندلسيون من سلطات الاسترداد الإسباني، وخاصة بعد سقوط غرناطة سنة(٨٩٧هـ/١٤٩٢م) وانتهاء دولة الإسلام في الأندلس، وانتقال كثير من الأندلسيين(المورسكيين) إلى شمال المغرب[٣]؛ حتى يكونوا على مقربة من أوطانهم أملاً في العودة[٤].

لم يكن دور المهاجرين الأندلسيين قاصرًا على التوسع العمراني لمدينة شفشاون، والحفاظ على الطابع الأندلسي في البناء والتشييد فحسب، وإنما أحدثوا تطورًا اجتماعيًا واقتصاديًا مهمًا، لا يزال أثره قائمًا حتى الآن بهذه المدينة، إذ حملوا معهم خلاصة حضارتهم الأندلسية من عادات وتقاليد وفنون وآداب، وكذلك تقنياتهم في مجال الزراعة والصناعة[٥].

وعلى الرغم من أن الهاجس العسكري كان هو الدافع الأول وراء تأسيس مدينة شفشاون، فإنها شهدت ازدهارًا عمرانيًا ومعماريًا كبيرًا، وعرفت نشاطًا تجاريًا وصناعيًا سريعًا، حتى أصبحت المدينة في أقل من نصف قرن من تأسيسها تضم ستة أحياء سكنية أو حومات وفقًا للاصطلاح المحلي، هي: حومة السويقة، حومة ريف الأندلس، حومة العنصر، حومة ريف الصبانين، حومة الخرازين وحومة السوق[٦](خريطة١).

فضلاً عن الحي اليهودي الذي كان يضم عددًا من العائلات اليهودية ذات الأصول الأندلسية في الغالب، كانت تسكن خارج سور المدينة قرب باب الحمّار، ثم تم نقلهم في بداية النصف الثاني من القرن(١٠هـ/١٦م) إلى منطقة مستقلة داخل المدينة تقع بين القصبة وحي السويقة، حيث شيدو حي

---

[١]- عن الشروط الواجب توافرها عند اختيار مواقع المدن وتخطيط مواضعها، راجع؛ **محمد عبد الستار عثمان:** المدينة الإسلامية، ص ص٢٩-٣٥.

[٢]- يرجع الفضل إلى المورسكيين في تطوير كثير من القرى المغربية الواقعة على شاطئ البحر المتوسط وتحويلها إلى مدن، كالفنيدق، المضيق، الملاليين، مرتين، أمسا، وادي لاو، قاعسراس، ترغة، تيكساس، تاغصا،الجبهة، مسطاسي، بادس، قلعة صنهاجة، تمسمان وغصاصة، للاستزادة، انظر؛ **محمد بن عزوز حكيم:** أولاد النقسيس- الأسرة الأندلسية التي حكمت تطاون حوالي قرن: من خلال وثائق إسبانية معاصرة للأحداث، بحث نشر كتاب أعمال ندوة الموريسكيون في المغرب، الندوة الثانية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية- سلسة الندوات، شفشاون ٢١-٢٣ شتنبر ٢٠٠٠م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ٢٠٠١م، ص ٩٤.

[٣]- **محمد القاضي:** مظاهر الحضارة الأندلسية في شفشاون، ص ص١١٢-١١٣.

[٤]- عبد المجيد القدوري: الموريسكيون في المجتمع المغربي اندماج أم انعزال؟، بحث نشر كتاب أعمال ندوة الموريسكيون في المغرب، الندوة الثانية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية-سلسة الندوات، شفشاون ٢١-٢٣ شتنبر ٢٠٠٠م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ٢٠٠١م، ص ٨٦.

[٥]- **محمد القاضي:** مظاهر الحضارة الأندلسية في شفشاون، ص ص١١٦-١٣٢.

[٦]- عبد القادر العافية: الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون ، ص ٧١؛ تجدر الإشارة إلى تباين آراء بعض الباحثين في ترتيب نشأة بعض أحياء المدينة، حيث جاءت حومة الخرازين بعد حومة السويقة مباشرة.انظر؛ **عبد المولي الهراس:** مظاهر التنمية بمدينة شفشاون، ص١٣.

الملاح[١]، وتواصل هذا الازدهار والنشاط العمراني والتجاري لمدينة شفشاون، حتى صارت وفقًا لشهادة الحسن الوزان الذي زارها في مطلع القرن(١٠هـ/١٦م)،:"مدينة مليئة بالتجار والصناع"[٢]، ووصف مارمول سكانها بأنهم:" تجار وصناع موسرون"[٣].

مع الأخذ في الاعتبار أن هذه الاحياء السكنية التي تكونت منها مدينة شفشاون لم تشيد دفعة واحدة، وإنما كانت تزيد وتمتد حسب الاحتياجات المتجددة للسكان، نتيجة للهجرات الأندلسية على هذه المدينة قبيل سقوط غرناطة سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م)، وبعدها حتى سنة(١٠١٨هـ/١٦٠٩م) تاريخ الطرد النهائي للمورسكيين من الأندلس.

حي السويقة:

تعد حومة أو حي السويقة أول ما شيد بالمدينة بعد القصبة، وتبلغ مساحته نحو ٩١٠ ,٣٩م٢[٤]، وقد أسس هذا الحي لاستقرار نحو ثمانين أسرة - من مدينة غرناطة- قدمت من الأندلس، مع الأمير على بن راشد مؤسس القصبة[٥]، بالاضافة إلى أشراف جبل العلم[٦].

ويتميز هذا الحي بمنازله ذات الطراز الأندلسي، وباشتماله على السوق الذي عرف بالقيسارية[٧]، وهو سوق أسبوعي، يعرف بسوق الجمعة لانعقاده أيام الجمع في ساحة وطاء الحمّام بالقرب من الجامع الكبير بحومة السويقة، ويمتد من باب الموقف إلى باب السوق، وكان مخصصًا للتوابل والبقالة والأحذية والأزياء المحلية، وبخلاف هذا السوق الذي كان يعقد داخل أسوار المدينة، كان هناك سوق أسبوعي آخر لمدينة شفشاون هو سوق الإثنين، الذي كان يعقد خارج أسوار المدينة بالقرب من ضريح مولاي على بن راشد[٨].

وقد قامت هذه العناصر الأندلسية الأولى وغيرها من الهجرات الأندلسية المتتابعة، بإحاطة حيهم بسور لحمايته من غارات الأعداء، عملاً بالتقاليد العمرانية الشائعة في الأندلس، وبخاصة في الأحياء العربية بغرناطة[٩].

---

[١]- **محمد الشريف:** مدينة شفشاون وبنياتها الاقتصادية والاجتماعية، ص ص١٠٥-١٠٦؛ **محمد القاضي:** مظاهر الحضارة الأندلسية في شفشاون، ص ١١٤.
[٢]- **ليون الإفريقي:** وصف إفريقيا، جـ١، ص٣٣١.
[٣]- **مارمول:** إفريقيا، جـ٢، ص٢٤٩.
[٤]- **محمد القاضي:** مظاهر الحضارة الأندلسية في شفشاون، ص١٠٦.
[٥]- **فاطمة بوشمال:** شفشاون حاضرة شريفة بملامح أندلسية وقسمات جبلية، ص١٢٩.
[٦]- **عبد العزيز بن عبد الله:** شفشاون وآثارها المعمارية عبر التاريخ، ص٣٤.
[٧]- **عبد العاطي محمد عبد الجليل:** شفشاون مغربية الانتماء أندلسية الهوى، بحث نشر في مجلة التواصل، السنة الرابعة، العدد الخامس عشر، ٢٠٠٧م، ص١١٣.
[٨]- **محمد الشريف:** مدينة شفشاون وبنياتها الاقتصادية والاجتماعية، ص ص١٠٤-١٠٥.
[٩]- **فاطمة بوشمال:** شفشاون حاضرة شريفة بملامح أندلسية وقسمات جبلية، ص١٣٠.

ويتخلل سور حي السويقة أربع بوابات، هى: بوابة الهرمون، بوابة الحمّار، بوابة الموقف وبوابة السور(خريطة١)، وما زال جزء من هذا السور باقيًا حتى الآن، ويرجع سبب تسمية الحي بالسويقة إلى أنشطة البيع والتبادل التجاري التي كانت تتم بالحي، وتعكس مسميات بعض البوابات السابق ذكرها نوع النشاط الذي كان يدور حولها، فباب الحمّار هو المكان الذي كانت تتجمع فيه البغال والحمير لنقل البضائع، وباب الموقف؛ مكان انتظار طالبي العمل انتظارًا لاستخدامهم في الأعمال المختلفة[١].

وبعد تزايد عدد السكان بحومة السويقة لم يعد مسجد القصبة الصغير يتسع لعدد المصلين المتزايد، وأصبحت الحاجة ملحة لإنشاء جامع كبير، فقام الأمير محمد بن على بن راشد بتشييد الجامع الكبير- كما سبقت الإشارة- خلال فترة حكمه(٩٤٧-٩٦٩هـ/١٥٤٠-١٥٦٢م)[٢]، وقد شيد بمحاذاة الواجهة الغربية للقصبة، لا يفصلهما سوى زقاق ضيق(شكل٢، لوحة٥)، ثم شيد بعد ذلك بحي السويقة جامع بن يلون[٣]، وجامع سيدي الحاج الشريف[٤].

ومازال حي السويقة يحتفظ بهيئته الأصلية إلى حد كبير، باستثناء تغييرات طرأت على بعض الدروب والأزقة والمنازل والحوانيت التي تحولت لبيع الأزياء والأحذية التقليدية والحديثة[٥].

حي ريف الأندلس[٦]:

شيد حي ريف الأندلس ثاني أحياء مدينة شفشاون نتيجة لهجرات الأندلسيين بعد سقوط غرناطة سنة(٨٩٧هـ/١٤٩٢م)، وربما يرجع سبب اختيارهم لشفشاون وجود علاقات بينهم وبين الموجة الأولى من الأسر الأندلسية التي استقرت بحي السويقة، أو بسبب رغبتهم في الجهاد ضد من طردوهم من موطنهم، وكانت هذه الهجرة التي شكلت حي ريف الأندلس أكثر عددًا من سابقتها[٧]، إذ بلغ عدد سكان هذا الحي نحو ثلث سكان مدينة شفشاون[٨]، وقد شيد حي ريف الأندلس شمال حي السويقة(خريطة١)، إذ روعي في اختيارموضعه توفر المياه، لذلك وقع الاختيار على المساحات المحيطة بالساقية الكبيرة التي تتفرع عن النهر، وتتفرع عنها شبكة المياه التي تزود القصبة وحي السويقة بالماء، رغم وعورة

---

[1]- **Bautista,** Guillermo,Xauen:Evolucion Urbana De La Ciudad, p.103.

[٢]- **سعيد أعراب:** جامع شفشاون، ص ٢٨؛ **نوران محسن طه:** العمائر الدينية بمدينة شفشاون، ص٤٨.

[٣]- **نوران محسن طه:** العمائر الدينية بمدينة شفشاون، ص ص٩٢-٩٤.

[٤]- **محمد الشريف:** مدينة شفشاون وبنياتها الاقتصادية والاجتماعية، ص١٠١.

[٥]- **محمد القاضي:** مظاهر الحضارة الأندلسية في شفشاون، ص١٠٦.

[٦]- يقصد بكلمة ريف المكان الذي يحاذي النهر أو قريب منه حيث تنتشر الأشجار والنباتات، وتشتمل مدينة شفشاون على حيين يحملان كلمة ريف هما حي ريف الأندلس وحي الصبانين، وكان الحيان يتوفران على الأشجار والبساتين، وفي نفس الوقت كانا قريبين من نهر شفشاون، حيث تمر بالأول ساقية كبيرة تتفرع عنها شبكة المياه، وشيد حي ريف الصبانين بمجاورة نهر شفشاون. عبد القادر العافية: الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون، ج١٠٨، ص ٧١.

[7]- **Bautista,** Guillermo,Xauen:Evolucion Urbana De La Ciudad, pp.105-106.

[٨]- **عبد العزيز بن عبد الله:** شفشاون وآثارها المعمارية، ص٣٤.

تضاريس هذا الموضع، وعدم توفره على الأرض السهلة الصالحة للبناء، ومن ثم شيدت منازل ومنشآت حي ريف الأندلس على المدرجات والمنحدرات الوعرة أعلى الجبل في تلك المنطقة[١].

وعلى غرار السور الذي أحاط بحي السويقة، أحيط حي ريف الأندلس بسور أيضًا، كانت بوابته الرئيسة وهي باب النُقبة في الجهة الجنوبية، عند نهاية ساحة دمنة المخزن[٢]، تلك الساحة القريبة من القصبة التي كانت تعرف بالمخزن؛ بوصفها مقرًا لحاكم شفشاون منذ إنشائها ولنحو أربعة قرون ونصف، غير أن باب النُقبة هدم منذ زمن ولم يعد قائمًا.

بالرغم من عدم اختلاف مباني حي ريف الأندلس عن مثيلاتها بحي السويقة من حيث النمط المعماري ذي الطابع الأندلسي، إلا أن الخصائص الطبوغرافية المتمثلة في وعورة الأرض- كما سبقت الإشارة- بحي ريف الأندلس، حتمت بناء منازل هذا الحي من طابقين أو ثلاثة، كما تميزت هذه المنازل بأن لكل منزل أكثر من مدخل، بعضها يمثل مداخل أو مخارج سرية[٣].

وبخلاف الجامع الكبير بحي السويقة الذي شيد على يد الأمير محمد بن راشد كما سبقت الإشارة، فإن جامع حي ريف الأندلس، وغيره من الجوامع التي شيدت في الأحياء الأخرى بمدينة شفشاون، شيدت على يد أهل الأحياء المقيمين بها، ومازال جامع ريف الأندلس قائمًا حتى الآن[٤]، ولاستيعاب الكثافة السكانية بهذا الحي شيد به جامع آخر هو جامع العاقل، وذلك في القرن(١١هـ/١٧م) وفقًا لآراء بعض الباحثين، أو في بداية القرن(١٣هـ/١٩م) اعتمادًا على أن أول تحبيس ورد في الحوالة الحبسية لهذا الجامع يرجع لسنة(١٢٠٦هـ/١٧٩٢م)[٥].

حي العنصر:

بعد سقوط غرناطة نزحت كثير من الأسر الأندلسية (المورسكية) إلى شفشاون، وأحدث وصول هذه الأعداد الكبيرة من المورسكيين وبخاصة فيما بين(٩٤٧- ٩٦٨هـ/١٥٤٠-١٥٦٠م) تطورًا عمرانيًا هائلاً في هذه المدينة؛ إذ بدأت تتسع نحو الاتجاه الشمال الشرقي، خلف حي السويقة وحي ريف الأندلس، حيث تم بناء حي العنصر وحي ريف الصبانين[٦] (خريطة١).

أما حي العنصر فيعد الامتداد الشرقي لحي ريف الأندلس، وقد انسحب عليه هذا الاسم لقربه من نهر شفشاون أو نبع رأس الماء(لوحة٦)، عنصر أو مصدر الماء الرئيس الذي يغذي مدينة شفشاون وما

1- **Bautista,** Guillermo,Xauen:Evolucion Urbana De La Ciudad, p.105.
2- **Bautista,** Guillermo,Xauen:Evolucion Urbana De La Ciudad, p.105.
٣- **عبد العاطي محمد عبد الجليل:** شفشاون مغربية الانتماء أندلسية الهوى، ص١١٣.
٤- **نوران محسن طه:** العمائر الدينية بمدينة شفشاون، ص ص٤٠-٤١، ٨٢-٨٧.
٥- **نوران محسن طه:** العمائر الدينية بمدينة شفشاون، ص ص٨٨-٩١.
6- Bautista,Guillermo,Xauen:Evolucion Urbana De La Ciudad, p..107

حولها بالمياه الصالحة للشرب والزراعة[١]، لكن سكان هذا الحي من الأندلسيين لم يحافظوا على النمط المعماري الأندلسي، كما فعل أسلافهم بحي السويقة وريف الأندلس[٢]، وشيد سكان حي العنصر جامعهم الخاص بهم، الذي يقع حاليًا بشارع الحسن الأول ويعرف بجامع العنصر[٣].

وعلى غرار السور الذي شيده سكان حي السويقة وحي ريف الأندلس، كان على سكان كل حي جديد بشفشاون توفير وسائل الدفاع والحماية من غارات الأعداء سواء القبائل الجبلية المجاورة أو العدو البرتغالي والموالين له، ومن ثم شيد سكان حي العنصر سورًا لحمايتهم، ولا سيما أن القطاع الشرقي من المدينة يعد الأقل حماية ضد الهجمات الخارجية المحتملة والانهيارات الصخرية، حيث يشرف حي العنصر من الجهتين الشمالية والشرقية على تضاريس جبلية وعرة(لوحة٧)، وبالقطاع الجنوبي الشرقي لهذا السور فتح باب العنصر[٤]، الذي يعد حلقة الوصل بين سكان هذا الحي وبين الغابات والأراضي الزراعية المنتشرة خارج المدينة[٥] (خريطة١).

حي ريف الصبانين:

شيد حي ريف الصبانين إلى الشرق من حي السويقة وحي ريف الأندلس(خريطة١)، وهو أصغر مساحة من هذين الحيين، كما أنه أصغر أيضًا من حي العنصرالمجاور له من الجهة الشمالية، إذ حد نهر شفشاون الذي يمثل الحد الشرقي لحي ريف الصبانين من الامتداد العمراني للحي في هذا الجانب، وهو الاتجاه الوحيد الذي كان يمكن لعمران هذا الحي أن يمتد ويتسع من خلاله(خريطة٢).

وقد سمي الحي بريف (الصبانين) نسبة لنوع الأنشطة التي كانت تمارس على ضفاف نهر شفشاون، حيث كان يتم تصبين أو غسل الصوف وتحضيره لصناعة المنسوجات، وهي صناعة تركزت بشكل خاص في اتجاه مجرى النهر، بهذا الحي وفي قطاع من حي العنصر المجاور له من الجهة الشمالية، حتى يجرف التيار الماء المتخلف من هذه الصناعة الذي لا يصلح للاستخدام[٦].

ويتميز حي ريف الصبانين باشتماله على مجموعة كبيرة من الرحى أو الطواحين التقليدية، التي خصص بعضها لطحن الحبوب والبعض الآخر لعصرالزيتون، شيدت على المنحدر الشديد الذي يسلكه النهر(لوحة٨)، إذ استغلت قوة الماء الناتجة عن هذا الانحدار الشديد في تحريك أحجار إحدى وعشرين طاحونة مخصصة لطحن الحبوب تقع على ضفاف فروعه الثلاثة، فضلاً عن ثلاث عشرة

١- **عبد القادر العافية:** الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون، ج١٠٩، ص٧١.
٢- **عبد العاطي محمد عبد الجليل:** شفشاون مغربية الانتماء أندلسية الهوى، ص١١٤.
٣- **نوران محسن طه:** العمائر الدينية بمدينة شفشاون، ص ص٦٠-٦٥.
4- Bautista,Guillermo,Xauen:Evolucion Urbana De La Ciudad, pp.107-109.
٥- **محمد الشريف:** مدينة شفشاون وبنياتها الاقتصادية والاجتماعية، ص ص١٠٦-١٠٧.
6- Bautista,Guillermo,Xauen:Evolucion Urbana De La Ciudad, p١٠٩..

رحى لعصر الزيتون، ويتوفر حي ريف الصبانين على أكبر عدد من هذه الطواحين بنوعيها[١]، وذلك لقرب هذا الحي من النهر كما سبقت الإشارة، مما يشير إلى حسن استغلال الماء الجاري في نهر شفشاون والقنوات المتفرعة عنه في تشغيل الطواحين التي تعمل بالماء كطاقة حركية.

لم يكن حي ريف الصبانين في حاجة إلى إحاطته بالأسوار، نظرًا لانفتاحه على داخل المدينة حيث حي العنصر في الشمال، وحي ريف الأندلس في الغرب، وحي السويقة والقصبة في الجنوب الغربي، كما أنه محمي من الجنوب والشرق بخندق طبيعي، ولتكتمل الحماية الطبيعية التي يوفرها النهر الذي يحد هذا الحي من الجهة الشرقية، شيد قطاع أو جزء من سور يربطه بالقصبة حيث كان يقع باب المقدم[٢] (الخريطتان١-٢).

وقد شيد سكان حي ريف الصبانين جامعهم الخاص بهم، وهو يقع بساحة الصبانين، ويعرف حاليًا بجامع ريف الصبانين، ولاستيعاب أعداد المصلين المتزايد خلال الفترات التاريخية المختلفة، تعرض الجامع لكثير من الزيادات والتوسعات في الفترات اللاحقة[٣].

حي السوق:

ترتبط نشأة هذا الحي بقرار الطرد النهائي للموريسكيين من الأندلس سنة(١٠١٨هـ/١٦٠٩م)، حيث نزحت إلى مدينة شفشاون الموجة الثالثة والأخيرة من الموريسكيين المطرودين، وشيد حي السوق في القطاع الشمالي الغربي لهذه المدينة(الخريطتان١-٢)، وترجع تسمية هذا الحي نسبة إلى السوق الإسبوعي الذي كان يعقد - ولا يزال- أيام الإثنين خارج المدينة، بالقرب من باب السوق الباب الرئيس لهذا الحي[٤] (الخريطتان١-٢)، ومن هذا الباب دخل الجيش الإسباني عام ١٩٢٠م لاحتلال مدينة شفشاون[٥].

وقد شيد سكان حي السوق الجامع الخاص بهم، ويعرف الآن بجامع السوق أو جامع باب السوق، كما أحاط السكان حيهم بسور في الجهة الغربية، وفتح فيه باب السوق السابق الإشارة إليه، الذي يتجه مباشرة نحو الطريق المؤدي إلى مدينة تطوان(الخريطتان١-٢)، تلك المدينة التي مثلت محطة رئيسة لاستقرار عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين أيضًا[٦]، والحليف الاستراتيجي لشفشاون في العمليات الجهادية لتحرير سبتة وطنجة، وصد التوغل البرتغالي نحو المناطق الداخلية للشمال الغربي للمغرب[٧].

١- **محمد الشريف:** مدينة شفشاون وبنياتها الاقتصادية والاجتماعية، ص ص١٠٧-١٠٩.

2- Bautista,Guillermo,Xauen:Evolucion Urbana De La Ciudad, p١٠٧..

٣- **نوران محسن طه:** العمائر الدينية بمدينة شفشاون، ص ص٦٦-٧٣.

4- **Bautista,** Guillermo,Xauen:Evolucion Urbana De La Ciudad, p. 111.

٥- **فاطمة بوشمال:** شفشاون حاضرة شريفة بملامح أندلسية وقسمات جبلية، ص١٣٣.

6- **Bautista,** Guillermo,Xauen:Evolucion Urbana De La Ciudad, p. 107.

٧- **فاطمة بوشمال:** إمارة شفشاون، ص٢٥٢.

حي الخرازين:

بعد هذه الموجة الثالثة والأخيرة من الأندلسيين الذين شيدو حي السوق السابق الإشارة إليه، نمت مدينة شفشاون ببطء شديد، لكونها لم تستقبل هجرات أندلسية جديدة، مما يشير إلى أهمية الهجرات الأندلسية في نمو وتوسع هذه المدينة[١].

غير أن الازدهار الاقتصادي والتجاري والقوة والمنعة التي توفرت عليها مدينة شفشاون آنذاك جذبت إليها بعض القبائل المجاورة (الأمازيغ) للاستقرار بها وسكناها، وبخاصة من قبيلتي الأخماس وغمارة[٢]، الذين نزحوا إلى شفشاون في القرن(١١هـ/١٧م)، وشيدوا حي الخرازين في القطاع الجنوبي الغربي لهذه المدينة، بين حي السويقة من الناحية الجنوبية وحي السوق من الناحية الشمالية[٣] (الخريطتان١-٢)، لذلك جمع حي الخرازين بين التقاليد المعمارية المحلية ذات الطابع الجبلي، وتأثيرات الحضارة الأندلسية التي جاء بها الموريسكيون الذين نزلوا شفشاون حتى القرن(١٠هـ/١٦م).

وقد ارتبطت تسمية حي(الخرازين) أي الاسكافيين بحرفة صناعة الأحذية ودباغة الجلود، إذ تميز هذا الحي بنشاط تجاري مهم مرتبط أساسًا بالمنتجات الجلدية، وكان يضم واحدة من أهم دور الدباغة بشفشاون هي دار الدباغ باب العين[٤]، إذ كان أغلب هذه العناصر الجديدة التي عمرت هذا الحي، تمتهن حرفًا يدوية ومهنًا شاقة مثل الخرازة والدباغة والنسيج وأعمال البناء[٥].

وقد شيد سكان هذا الحي الجامع الخاص بهم، وهو جامع سيدي بو خنشة[٦]، وأحيط الحي بسور في الجهة الغربية يتوسطه الباب الرئيس للحي وهو باب العين، الذي يمثل حاليًا حلقة الوصل بين المدينة القديمة والمدينة الحديثة[٧].

هكذا، تعكس مسميات أحياء مدينة شفشاون أنواع الحرف والأنشطة التجارية والصناعية التي عرفتها هذه المدينة؛ كالسويقة ، السوق، الصبانين والخرازين[٨]، كما تكشف عن تخصص الأحياء في الأنشطة الإنتاجية والصناعية التي جلبتها معها الهجرات الأندلسية على شفشاون[٩].

١- **عبد المولي الهراس:** مظاهر التنمية بمدينة شفشاون، ص١٢.
٢- **فاطمة بوشمال:** شفشاون حاضرة شريفة بملامح أندلسية وقسمات جبلية، ص١٣٠.
3- **Bautista,** Guillermo,Xauen:Evolucion Urbana De La Ciudad, p. 107.
٤- **محمد الشريف:** مدينة شفشاون وبنياتها الاقتصادية والاجتماعية، ص ١٠٩.
٥- **فاطمة بوشمال:** شفشاون حاضرة شريفة بملامح أندلسية وقسمات جبلية، ص١٣٠.
٦- **نوران محسن طه:** العمائر الدينية بمدينة شفشاون، ص ص٧٤-٨١.
7- **Bautista,** Guillermo, Xauen: Evolucion Urbana De La Ciudad, p. 177.
٨- **عبد القادر العافية:** الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون، ص٧١.
9- **Bautista,** Guillermo, Xauen:Evolucion Urbana De La Ciudad, p. 109.

ويبدو أن الطابع المستقل الذي كان يتمتع به كل حي من أحياء المدينة، أدى إلى توفر كل حى منها فضلاً عن الدور السكنية، على مسجده الخاص وأفران الخبز وحمامات وسواقي وشبكات المياه، وغير ذلك من المرافق والمنشآت العامة، ولكن هذا لا ينفي وجود علاقات تجارية واجتماعية بين سكان هذه الأحياء[١].

وقد شكل الجانب الأمني محورًا مهمًا في تخطيط مدينة شفشاون، بدأ من اختيار موضع القصبة، ثم تشييد سور لكل حي جديد ينشأ جوار هذه القصبة أو بالقرب منها، وبعد أن تطور وامتد عمران شفشاون، واكتسبت كل مقومات المدينة أحيطت بسور من جميع جهاتها، دعم بمجموعة كثيفة من الأبراج أسطحها مكشوفة غير مسقوفة (لوحة ٩).

وتتخلل هذا السور سبع بوابات، ففي الجهة الشمالية بوابتا سيدي بوشوكة والمحروق على التوالي من الغرب إلى الشرق، ومن جهة الشرق بوابة العنصر، وفي جهة الجنوب بوابتا الصبانين والحمّار على التوالي من الشرق إلى الغرب، ومن جهة الغرب بوابتا العين والسوق على التوالي من الجنوب إلى الشمال(الخريطتان١-٢) .

وترتبط هذه البوابات في الغالب باتجاهات الطرق المؤدية إلى المدن والبوادي المجاورة والمقابر والأسواق والغابات والأراضي الزراعية المنتشرة خارج المدينة، إذ يبدو أن كل بوابة من هذه البوابات كانت تفتح في اتجاه محدد، أما بالنسبة للداخل فتفتح هذه البوابات على شبكة الطرق الداخلية، التي تتنوع ما بين النافذ وغير النافذ، والساحات والطرق الرئيسة والتجارية[٢].

ويعلو هذه البوابات غرفة أو مصرية - وفقًا للاصطلاح المغربي- غطى سطحها بحطات مائلة من القرميد الأحمر، وهى مخصصة للحارس الذي يغلق البوابة ليلاً[٣]، ولمراقبة الأراضي الواقعة خارج السور، ولا سيما أن البوابات كانت أكثر ارتفاعًا من السور(اللوحتان١٠-١١).

وقد اندثرت قطاعات كبيرة من هذه الأسوار أثناء الحروب التي خاضتها شفشاون قبل احتلالها من قبل الإسبان عام ١٩٢٠م[٤]، وبقيت أجزاء منها وبخاصة السور الشمالي للمدينة، الذي يضم بوابتي المحروق وسيدي بوشوكة، والقطاع الشمالي الشرقي من السور الشرقي ويضم بوابة العنصر،

---

[1]- **Bautista,** Guillermo, Xauen: Evolucion Urbana De La Ciudad, p. 107.

[٢]- **محمد حافظ الزرقاني:** نظريات حول عملية الترميم والحفاظ على المعالم التاريخية: أسوار مدينتي تطوان وشفشاون نموذجا، الندوة الوطنية حول أسوار المدن العتيقة مديرية التراث الثقافي، وزارة الشؤون الثقافية، المملكة المغربية، ١٩٨٩م، ص١٢٤م؛ **محمد القاضي:** مظاهر الحضارة الأندلسية في شفشاون، ص١٠٣.

[٣]- **محمد حافظ الزرقاني:** نظريات حول عملية الترميم والحفاظ على المعالم التاريخية، ص١٢٤؛ يعد القرميد الأحمر من خصوصيات العمارة التراثية بمدينة شفشاون، والمادة الرئيسة لتغطية أسطح مبانيها. للاستزادة انظر؛ ميثاق الهندسة المعمارية للمدينة العتيقة لشفشاون، الوزارة المنتدبة المكلفة بالإسكان والتعمير، المملكة المغربية، نوفمبر ٢٠٠٦م، ص١٠.

[٤]- **محمد حافظ الزرقاني:** نظريات حول عملية الترميم والحفاظ على المعالم التاريخية، ص١٢٤.

والقطاع الجنوبي الغربي من السور الجنوبي ويضم بوابة الحمّار، ومن السور الغربي لم يتبق سوى بوابة العين وبوابة السوق، على التوالي من الجنوب إلى الشمال(الخريطتان١-٢).

ومن خلال الأجزاء الباقية لهذه الأسوار، يلاحظ أن السور لا يمتد في استقامة واحدة لمسافات طويلة، وإنما يمتد في خطوط متعرجة منكسرة؛ نتيجة لوعورة تضاريس الأرض الجبلية (اللوحتان١٢-١٣)، وقد استخدم الحجر والآجر معًا في تشييد السور، ويبلغ ارتفاع هذا السور نحو٦م، ويبلغ سمكه نحو١م، ويعلوه ممشى يحده من الخارج جدار توج بصف من دراو مدرجة[١].

وقد حققت هذه الأسوارفضلاً عن التحصين الطبيعي لموقع شفشاون، الغرض الدفاعي الذي أنشئت من أجله، لدرجة أن مدينة شفشاون استعصت منذ إنشائها سنة (٨٧٦هـ/١٤٧١م) على الأوربيين عسكريين ورحالة ومستكشفين، وفشلوا في دخلوها حتى احتلها الإسبان سنة ١٩٢٠م[٢]، بل وفي الوقت الذي تم فيه الاحتلال الإسباني لمدينة تطوان سنة ١٩١٣م، استغرق وصول الكتائب العسكرية الإسبانية إلى مشارف شفشاون واحتلالها سبع سنوات[٣].

ولم يكن احتلال الإسبان لشفشاون نهائيًا، إذ لم يستطيعوا التوسع في المناطق الجبلية المجاورة لها لصعوبة الوصول إليها والسيطرة عليها، بل وجدوا أنفسهم محاصرين بين أسوار هذه المدينة، وتهديدات عناصر المقاومة المتحصنين بالجبال والكهوف المجاورة للمدينة، ولم يتغلبوا على هذه المقاومة إلا بتوجيه ضربات جوية لهذه المناطق الجبلية، وقطع الامدادات التي كانت تصل إليها من المدينة، حتى كان الاحتلال الثاني للمدينة سنة ١٩٢٦م[٤]، وهذا يشير إلى قوة تحصينات شفشاون، والمنعة التي يتميز بها موقعها.

وقد انعكس امتناع شفشاون على الأوربيين طوال أربعة قرون ونصف، وما أحاط بها من غموض، على النعوت التي أطلقوها عليها، كالمدينة "المكتنفة بالأسرار" Xauen la Misteriosa، و"المحاطة بالأسطورة"، و"المدينة الغامضة"، و"المدينة المقدسة"[٥]، باعتبار أن المقدس في الغالب يرتبط عند الإنسان بالأمر بعيد المنال[٦].

---

[١]- **محمد حافظ الزرقاني:** نظريات حول عملية الترميم والحفاظ على المعالم التاريخية: أسوار مدينتي تطوان وشفشاون نموذجا، ص ص١٢٣-١٢٤.
[٢]- **محمد القاضي:** مظاهر الحضارة الأندلسية في شفشاون، ص١٠٣.
[٣]- **فاطمة بوشمال:** شفشاون حاضرة شريفة بملامح أندلسية وقسمات جبلية، ص١٣٣.
[٤]- **فاطمة بوشمال:** شفشاون حاضرة شريفة بملامح أندلسية وقسمات جبلية، ص١٣٤.
[٥]- **محمد الشريف:** مدينة شفشاون وبنياتها الاقتصادية والاجتماعية، ص ٩٣.
[٦]- **فاطمة بوشمال:** شفشاون حاضرة شريفة بملامح أندلسية وقسمات جبلية، ص١٢٢.

كانت للهجرات المتتالية للأندلسيين من علماء وصناع وحرفيين وغيرهم إلى بلاد المغرب، طوال فترات التاريخ الإسلامي حتى صدور قرار الطرد النهائي لهم من إسبانيا سنة(١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م)، ناشرين التراث الأندلسي في هذه البلاد؛ أكبر الأثر في نقل هذا التراث إلى بلاد المغرب[١]، وأصبح التأثير الأندلسي في المدن المغربية واضحًا، كفاس ومراكش وتطوان وسلا على سبيل المثال.

لكن مايميز شفشاون أن التأثير الأندلسي فيها يعد شبه كلىّ، ولازال طراز هندسة البناء فيها تراثًا أندلسيًا خالصًا، فهي تتفق مع غرناطة في كثير من الوجوه، كالتغلب على وعورة التضاريس، وصياغة النسيج العمراني، وهيئة الأسوار، وتنظيم شبكة الطرق، وتخطيط الدور، وأساليب تغطية المنشآت، وأشغال النجارة، وغير ذلك من الظواهر المعمارية والفنية، إذ كانت هناك رغبة – وفقًا لما ذهب إليه بعض الباحثين- عند هؤلاء المهاجرين الأندلسين المطرودين من غرناطة، في تشييد غرناطة جديدة في شفشاون[٢]، ولولا ذلك لكان الطابع الحربي الصارم قد غلب على هذه المدينة الناشئة المنعزلة في سفوح الجبال[٣].

ويتضح ذلك أيضًا في دروبها الضيقة الملتوية بأسمائها الأندلسية، كـ"ريف الأندلس" و"زنقة الغرناطي" و"درب الغراندي"، وبيوت الأسر الأندلسية المشيدة على جوانبها، التي تتميز بأبوابها ومداخلها وأفنيتها وعقودها ونوافذها ذات الشبابيك الحديدية الفريدة، كدار البيطار، دار الحفيان، دار الحضري، دار امفريج، دار الغرناطي، دار الغراندي، دار مورسيا، دار ابن عبدون، دار عدرون، دار العاقل، دار بيضة، وغيرها، وما زال أحفاد هذه الأسر يستوطنون شفشاون حتى اليوم[٤].

وقد ساعد على تغلغل الطابع الأندلسي بمدينة شفشاون، أن هؤلاء المهاجرين لم يتنافسوا مع أي وجود حضري سابق عند قدومهم لهذه المدينة، ومن ثم لم يكن هناك اختلاط أو تغيير، أو حتى تجريب، بل نقل مباشر للمعرفة والخبرات المكتسبة بالأندلس حضاريًا وثقافيًا على مدى نحو تسعة قرون إلى هذه المنطقة الجبلية[٥].

وعلى الرغم من ذلك فإن طرز المباني بشفشاون تتسم بالساطة والتقشف، ولا تنافس القصور والدور الفخمة التي شيدت في بعض المدن المغربية التي استقبلت عبر تاريخها هجرات الأندلسيين، كفاس وتطوان وسلا، لكونها استقبلت الفئات الميسورة من هؤلاء المهاجرين الأندلسيين، بينما كان

---

[١]- **محمد رزوق:** التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي (تأصيل تاريخي)، بحث نشر في كتاب دراسات في تاريخ المغرب، مطبعة أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩١م ص ٧٢.

[2]- Bautista, Guillermo, Xauen: Evolucion Urbana De La Ciudad, p. 113.

[٣]- **عبد العزيز بن عبد الله:** شفشاون وآثارها المعمارية، ص٣٤.

[٤]- **محمد القاضي:** مظاهر الحضارة الأندلسية في شفشاون، ص١٠٢.

[5]- Bautista, Guillermo, Xauen: Evolucion Urbana De La Ciudad, p. 105.

نصيب شفشاون من الطبقة المتوسطة في غالبيتها، والتي آثرت الاستقرار والجهاد ضد هجمات البرتغاليين والإسبان[١].

فضلاً عن ذلك فإن المهاجرين الأندلسيين الذين ظلوا تحت الحكم الإسباني، بعد نحو قرن من تسليم غرناطة، والذين عرفوا بـ"الموريسكيين" وحافظوا على إسلامهم وأخفوا دينهم وأظهروا التنصير، قد عانوا محنًا شديدة طوال هذه الفترة، وعندما هاجروا إلى المغرب – وقصدت جماعات منهم مدينة شفشاون - كانوا قد ضعفوا، وما حملوه هو النذر اليسير الذي حافظوا عليه أثناء المحنة[٢].

وعلى الرغم من ذلك، فإن عمران وعمائر مدينة شفشاون تتميز بخصوصية فريدة ميزتها عن باقي المدن المغربية، وتعد على درجة كبيرة من الجمال والروعة بالنسبة لمدينة تقع منعزلة في قلب سلسلة جبال الريف، وتعد أكثر المدن الداخلية بمنطقة جبالة، ولا ترتبط بباقي المدن المغربية بمحاور طرقية رئيسة، باستثناء منفذ وحيد يربطها بطريق (تطوان– الحسيمة)[٣] (لوحة١٤).

الخاتمة

وضح مما سبق عرضه، أن مدينة شفشاون تمثل نموذجًا مهمًا وواضحًا للمدينة التي كانت في بدايتها قصبة تحصينية للدفاع، وبمرور الزمن غلب عليها الطابع المدني وتحولت إلى مدينة كاملة المرافق، ورغم ذلك شكل الجانب الأمني محورًا مهمًا في تخطيطها، انعكاسًا للغارات والحروب التي كانت تنشب بين سكانها وبين المحتل البرتغالي ومن يعاونه من القبائل المجاورة، ولتأمين ثرواتها وتجارتها وحمايتها، لما تتمتع به من امتيازات اقتصادية، بوصفها واحدة من أهم المراكزالصناعية والتجارية بشمال المغرب[٤].

ولازالت هذه المدينة تحتفظ بقطاع كبير من أسوارها وما يدعمها من أبراج وبوابات، وبنسيجها العمراني ومنشآتها المعمارية، وتعد دراسة تحصيناتها وتطورها العمراني وعمائرها بشكل مفصل يتناول كل أثر على حدة، في إطار محيطه ونسيجه العمراني المتصل به، هدفًا مهمًا لدراسات لاحقة.

١- **محمد القاضي:** مظاهر الحضارة الأندلسية في شفشاون، ص١١٨.

٢- **عباس الجراري:** التأثير الأندلسي في الطرب المغربي، بحث نشر في كتاب أعمال ندوة الموريسكيون في المغرب، الندوة الثانية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية-سلسلة الندوات، شفشاون ٢١-٢٣ شتنبر ٢٠٠٠م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ٢٠٠١م، ص ص٢٠٥-٢٠٦.

٣- **عبد المولي الهراس:** مظاهر التنمية بمدينة شفشاون، ص ص١٦-١٧.

٤- **محمد الشريف:** مدينة شفشاون وبنياتها الاقتصادية والاجتماعية، ص ٩٠.

الخرائط والأشكال واللوحات

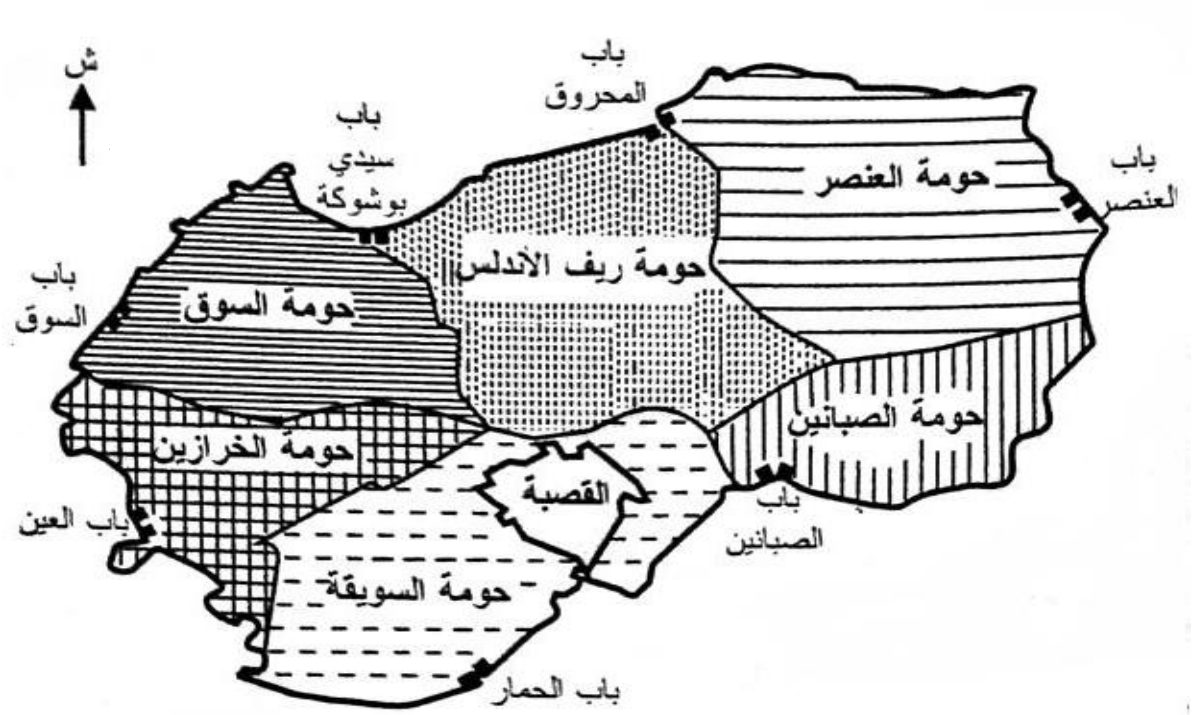

(خريطة١) خريطة مدينة شفشاون

عن: **عبد المولى الهراس:** مظاهر التنمية لمدينة شفشاون، خريطة١، ص١٣.

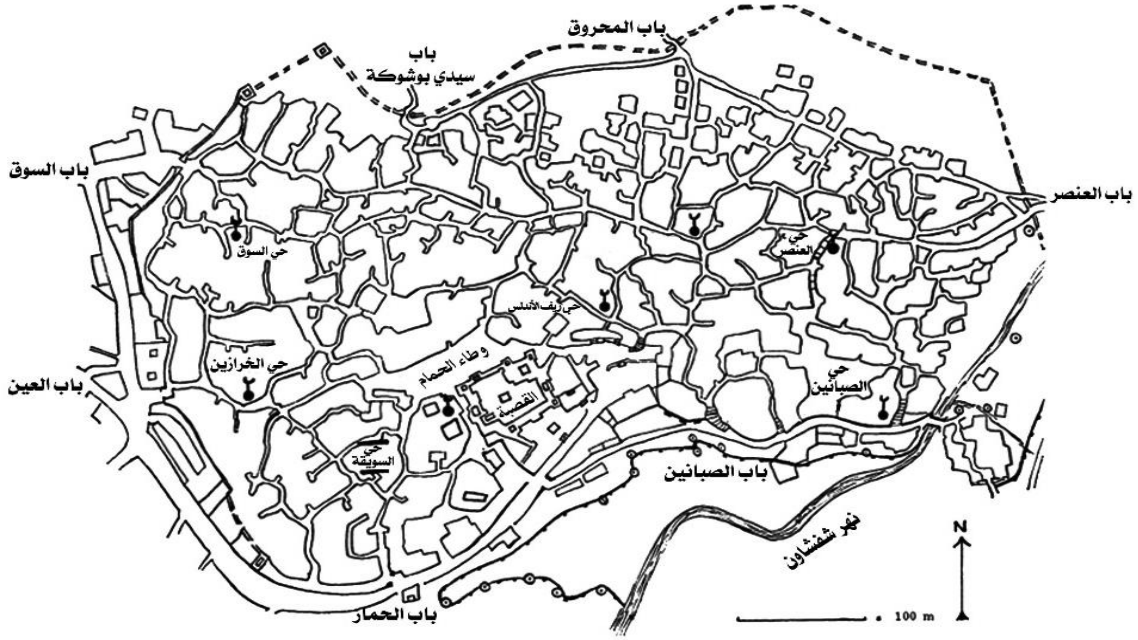

(خريطة٢) خريطة مدينة شفشاون، بتصرف عن:

Hoenerbach, W; Kolenda, J,: Šef♯wen(Zauwn): Geschihte und Topographie, Fig. 4b.

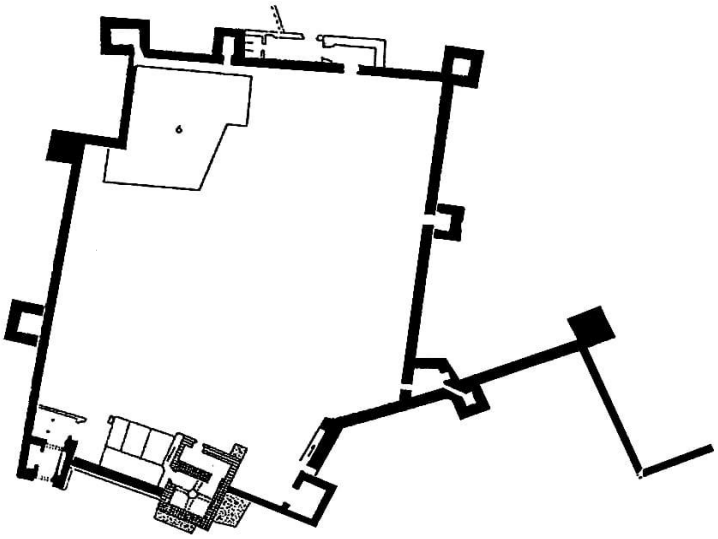

(شكل١) مسقط أفقي لقصبة شفشاون، عن:
Bautista, Guillermo, Xauen: Evolucion Urbana De La Ciudad, p. 102.

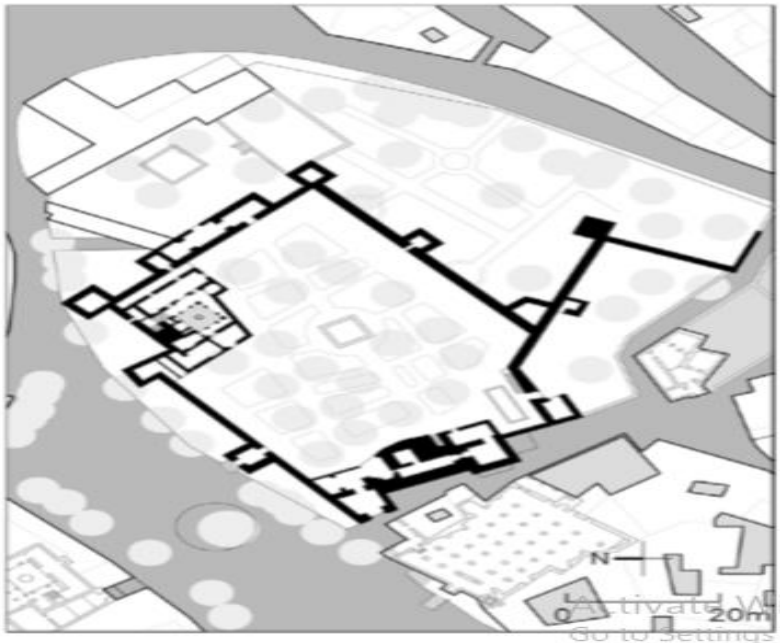

(شكل٢) مسقط أفقي للقصبة والجامع الكبير بشفشاون، عن:
Bautista,Guillermo,Xauen: Evolucion Urbana De La Ciudad, p171.

(لوحة١) قصبة شفشاون

(لوحة٢) قصبة شفشاون تتقدمها ساحة وطاء الحمّام

(لوحة٣) قصبة شفشاون

(لوحة٤) المدخل الحالي لقصبة شفشاون

(لوحة٥) القصبة والجامع الكبير بشفشاون، عن:
Bautista, Guillermo, Xauen: Evolucion Urbana De La Ciudad,p,38.

(لوحة٦) نهر شفشاون أو وادي رأس الماء

(لوحة٧) جانب من حي ريف الصبانين بشفشاون يظهر وعورة التضاريس

(لوحة٨) إحدى الطواحين المقامة على فروع نهر شفشاون، عن:
Bautista, Guillermo, Xauen: Evolucion Urbana De La Ciudad, p.182.

(لوحة٩) أحد الأبراج التي تدعم سور مدينة شفشاون، عن:
Bautista, Guillermo, Xauen: Evolucion Urbana De La Ciudad, p.174.

(لوحة١٠) بوابة العنصر، عن:
Bautista, Guillermo, Xauen: Evolucion Urbana De La Ciudad, p.175.

(لوحة١١) بوابة السوق، عن:
Bautista, Guillermo, Xauen: Evolucion Urbana De La Ciudad, p.116.

(لوحة١٢) قطاع من السور الشمالي لمدينة شفشاون

(لوحة١٣) قطاع من السور الشرقي لشفشاون وتظهر فيه بوابة العنصر

(لوحة١٤) موضع مدينة شفشاون وسط الجبال

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- **القادري (محمد بن الطيب ت:١١٨٧هـ/١٧٧٣م):** نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط- المملكة المغربية، ١٩٧٧م.
- **ليون الإفريقي (الحسن بن محمد الوزان، تُوُفِّيَ بعد عام ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م):** وصف إفريقيا، جزآن، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٩٨٣م.
- **مارمول (كربخال، ألف كتابه بعد عام ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م):** إفريقيا، الجزء الثاني، ترجمة محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الثانية، ١٩٨٨ – ١٩٨٩م.
- **الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي، ت: ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م):** الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تسعة أجزاء، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٥٤م.

ثانياً: المراجع العربية

- **إبراهيم حركات:** السياسة والمجتمع في العصر السعدي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ١٩٨٧م.

.....: المغرب عبر التاريخ، ثلاثة أجزاء، الطبعة الثالثة دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ١٩٩٣م.

- **الحسن اليوبي:** الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، مطبعة فضالة، ١٩٩٨م.
- **عبد القادر العافية:** الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها خلال القرن العاشر الهجري(السادس عشر الميلادي)، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٨٢.
- **عبد الكريم كريم:** المغرب في عهد الدولة السعدية – دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، شركة الطبع والنشر، الطبعة الثانية، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٧٨م.
- **ف. شارل دو فوكو:** التعرف على المغرب ١٨٨٣-١٨٨٤، الجزء الأول: الرحلة، ترجمة المختار بلعربي، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الثقافة- الدار البيضاء، ١٩٩٩م.
- **محمد بن عزوز حكيم:** مولاي علي بن راشد مؤسس شفشاون، الجزء الأول من كتاب "تاريخ شفشاون"، مطابع الشويخ، تطوان ١٩٩٨م.
- **محمد حجي:** الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، جزآن، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة فضالة، ١٩٧٨م.

- **محمد رزوق:** الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦ – ١٧م، مطبعة أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩١م.
- **محمد عبد الستار عثمان:** المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٩م.

ثالثاً: الدوريات العلمية:

- **سعيد أعراب:** جامع شفشاون، بحث نشر في مجلة دعوة الحق، العدد الأول، السنة السادسة، مطبعة فضالة – المحمدية، أكتوبر، ١٩٦٢م.
- **عباس الجراري:** التأثير الأندلسي في الطرب المغربي، بحث نشر في بحث نشر كتاب أعمال ندوة الموريسكيون في المغرب، الندوة الثانية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية-سلسة الندوات، شفشاون ٢١-٢٣ شتنبر ٢٠٠٠م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ٢٠٠١م.
- **عبد العزيز بن عبد الله:** شفشاون وآثارها المعمارية عبر التاريخ، مجلة المناهل، عدد ٢٨ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ديسمبر ١٩٨٣م.
- **عبد العاطي محمد عبد الجليل:** شفشاون مغربية الانتماء أندلسية الهوى، بحث نشر في مجلة التواصل، السنة الرابعة، العدد الخامس عشر، ٢٠٠٧م.
- **عبد المجيد القدوري:** الموريسكيون في المجتمع المغربي اندماج أم انعزال؟، بحث نشر كتاب أعمال ندوة الموريسكيون في المغرب، الندوة الثانية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية- سلسة الندوات، شفشاون ٢١-٢٣ شتنبر ٢٠٠٠م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ٢٠٠١م.
- **فاطمة بوشمال:** إمارة شفشاون: طموح سياسي أجهضه جوار صعب، بحث نشر في كتاب أشغال الأيام الوطنية الثانية والعشرين، الجمعية المغربية للبحث التاريخي وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، المملكة المغربية، إبريل ٢٠١٥م.

.....: شفشاون حاضرة شريفة بملامح أندلسية وقسمات جبلية، بحث نشر في مجلة المناهل، وزارة الثقافة والشباب والرياضة- قطاع الثقافة، المملكة المغربية، العدد ٩٨، يناير – فبراير- مارس٢٠٢٠م.

- **محمد بن عزوز حكيم:** أولاد النقسيس- الأسرة الأندلسية التي حكمت تطاون حوالي قرن: من خلال وثائق إسبانية معاصرة للأحداث، بحث نشر كتاب أعمال ندوة الموريسكيون في المغرب، الندوة الثانية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية-سلسة الندوات، شفشاون ٢١-٢٣ شتنبر ٢٠٠٠م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ٢٠٠١م.
- **محمد حافظ الزرقاني:** نظريات حول عملية الترميم والحفاظ على المعالم التاريخية: أسوار مدينتي تطوان وشفشاون نموذجا، الندوة الوطنية حول أسوار المدن العتيقة مديرية التراث الثقافي، وزارة الشؤون الثقافية، المملكة المغربية، ١٩٨٩م.

- **محمد الشريف(دكتور):** مدينة شفشاون وبنياتها الاقتصادية والاجتماعية سنة ١٩١٨ من خلال تقرير عسكري إسباني، بحث نشر في كتاب المغرب والأندلس-دراسات وترجمات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-تطوان –المغرب، ٢٠١٠م.
- **محمد القاضي:** مظاهر الحضارة الأندلسية في شفشاون، بحث نشر في مجلة التاريخ العربي، العدد الثامن والخمسون، طنجة- المملكة المغربية، ٢٠١١م.

رابعًا: الرسائل العلمية:

- **عبد المولي الهراس:** مظاهر التنمية بمدينة شفشاون، بحث لنيل الإجازة في شعبة الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان-المملكة المغربية، ٢٠١٢م.
- **نوران محسن طه:** العمائر الدينية بمدينة شفشاون بالمغرب الأقصى منذ نشأتها في القرن(٩هـ/١٥م) حتى نهاية القرن(١٣هـ/١٩م): دراسة آثارية معمارية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠٢١م.

خامساً: المراجع الأجنبية:

- **Bautista, Guillermo:** Xauen:Evolucion Urbana De La Ciudad, Janta de **……:** Andalucia,2000-2001.
- **Hoenerbach, W; Kolenda, J:** Šef♯wen(Zauwn):Geschihte und Topographie einer **……:** marokkanischen Stadt.II. Zauen in der Gegenwart, Die **……:** Welt des Islams, New Ser.,Vol.16,Issue ¼.1975, pp.104-165.
- **Naciri, Mohamed et des autres:** La Medina De Chefchaouen, Etude Architecturaie, **……:** Service De Reprographie Et Imprimerie, Rabat, **……:** Maroc,1982.
- **Naa̓ma El-Khatib Boujibar et des autres:** Le Maroc Andalou:À La Découverte D'Un Art De Vivre, Maroc, 2000.